البنية التربوية للشخصية الإسرائيلية
وانعكاسها على الحوار العربي – الإسرائيلي

بحث مستخلص من رسالة الدكتوراه تخصص: اصول تربية

إعداد

عبدالله محمود أحمد
مدرس مساعد بقسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة الفيوم

أ.د يوسف سيد محمود
أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
كلية التربية - جامعة الفيوم

أ.د/ محمد محمد سكران
أستاذ أصول التربية المتفرغ
كلية التربية - جامعة الفيوم

أ.د سعيد عبد السلام العكش
أستاذ اللغة العبرية وآدابها
كلية الآداب - جامعة عين شمس

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الشخصية اليهودية الإسرائيلية وبنيتها التربوية، كمحاولة للتنبوء باحتمالات السلوك الإسرائيلي الجماعي تجاه العرب، استنادًا إلى معرفة أبرز سمات هذه الشخصية ومقوماتها ومرتكزات تشكيلها. وتم الاعتماد على النظرية النقدية كمنهجية للبحث. وقد اظهرت نتائج هذا البحث أن الشخصية اليهودية قد اتسمت بجملة من السمات التي جاءت في معظمها سمات سلبية، يُمكن معها القول بأن هذه الشخصية معقدة نفسيًّا، وجمعت في ذاتها صفات متناقضة موروثة عن ماضي التاريخ اليهودي، و ربما لا يُمكن للسلام مع العرب أن يغيرها. وقد أسهمت عدة عوامل في تكوين الشخصية الإسرائيلية، وهي عوامل متشعبة ولا يُمثل كل عامل منها وحدة واحدة.

مقدمة:

يولي مجال الدراسات الإسرائيلية على المجتمع العربي اهتمامًا بالغًا بدراسة الشخصية العربية عامة، والشخصية الفلسطينية بصفة خاصة، وعلى هذا تمتلئ الكتب والأبحاث الإسرائيلية بأوصاف نمطية عن العرب والمسلمين. وقد ذكر **يسين (١٩٩٣، ٢١٣)** بشأن الدراسات النفسية الاجتماعية حول الصراع العربي الإسرائيلي: "أنها ركزت جهودها على الملامح الرئيسة لدى طرف واحد من أطراف الصراع هو الطرف العربي، وأهملت عن عمد – اهمالًا يكاد يكون تامًا – الطرف الإسرائيلي. ومع هذا التحيز العلمي الصريح وغياب المقارنات المبنية على دراسات وبحوث أُجريت على طرفي الصراع معًا، يُمكن الزعم أن السمات النفسية والاجتماعية السلبية ترتبط بصورة أساسية بالطرف العربي دون أن يُعطى الباحث العلمي أو القارىء المحايد أو الموضوعي فرصة المقارنة."

ولذا، أضحى من الضروري دراسة الشخصية اليهودية الإسرائيلية، حيث أكدت عدة دراسات على أن اليهود عامة يشتركون في العديد من الصفات التي تُعد من المقومات الأساسية للشخصية اليهودية، تلك الشخصية التي أمكن لها أن تحول الإحساس بالقلة والمذلة وعقدة الدونية القديمة إلى صورة لا مثيل لها من الغرور والكبرياء وجنون العظمة بما يسمى بعقدة الفوقية، والتي تجعل اندماج اليهود داخل إطار المجتمع الإنساني السليم أمرًا مستعصيًا. "فقد أجمع العديد من علماء النفس والاجتماع والانثروبولوجيا وعلماء الدين من المسلمين والمسيحيين على أن الجانب المظلم من صفات الإنسان وطبائعه قد تمثلت في الإنسان اليهودي. ورغم محاولات بني إسرائيل في كل العصور تجميل صورتهم بإمكاناتهم المادية والعلمية، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغيروا تلك الصورة المظلمة". **(عبد المحمود، ٢٠٠٨، ١٠٢)** فقد توصل علماء الانثروبولوجيا إلى تأصيل علمي للصفات والطبائع السيئة في اليهود وذلك بدراسة الأصول القديمة في التاريخ العرقي والديني لهم. كما توصل علماء الدين إلى صفات اليهود التي تتسم بالغدر والخسة والإرهاب من خلال الكتب المقدسة.

إن استقراء ملامح الإستراتيجية التربوية، النفسية الاجتماعية التي صاغتها العنصرية الصهيونية، والمعتمدة على تأويلات أسطورية مستمدة من الأفكار التلمودية لتحديد اتجاهات عملية التنشئة الاجتماعية وأطر التربية اليهودية، قد أضحى ضرورة ملحة. "ويمكن القول إن الطابع العنصري السائد في إسرائيل قد أثر تأثيرًا واضحًا على اتجاهات النشء إزاء العرب، والتي لا يمكن وصفها إلا بالاتجاهات العدوانية. وذلك على الرغم من محاولات المحيط العربي، إقامة سلام مع إسرائيل منذ كامب ديفيد الأولى عام ١٩٧٩ إلى كامب ديفيد الأخيرة عام ٢٠٠٠ م والتي لم تكتمل فصولها بسبب اللاءات الإسرائيلية حول الأرض والقدس والاستيطان وعودة اللاجئين. ومن المؤكد أن هذه العنصرية والعدوانية كانتا نتاجًا لتلك التربية التي تبلورت لدى الإسرائيليين من خلال إستراتيجية عنصرية للتنشئة الاجتماعية، تستخدم فيها الأفكار السلبية عن العرب في جميع وسائل التربية، وفي مقدمتها المدرسة والكيبوتس والجيش ووسائل الإعلام المختلفة." **(فارس، ٢٠٠١، www.info.wafa.com)**

إشكالية البحث:

أضحت الحاجة ملحة لدراسة مفهوم الأنا الإسرائيلي وسماته، وبعضًا من مضامينه العقائدية وأفكاره ومبادئه التي يؤمن بها والتي تُمثل المبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب، إضافة إلى تجربته التاريخية وموروثه الديني والعقائدي. وقد نتج عن رؤية اليهودي الإسرائيلي لذاته أن أضفى عليها عمليات الإسقاط المعرفي والأيديولوجي التي أدت بدورها إلى مزيد من تضخيم الذات الإسرئيلية، وتشويه الآخر العربي وعدم إدراك حقائقه التاريخية والمعرفية. فقد أدرك الصهاينة أن تشويه صورة الإنسان العربي والمسلم لا يمكن أن يتم بصورة كاملة وفاعلة دون تحسين وتعظيم صورة الذات الإسرائيلية وهو ما يمثل جدلية العلاقة بين الأنا والآخر. **وبصورة أكثر تحديدًا، يمكن تناول تلك الإشكالية من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:**

١- ما مفهوم الشخصية القومية ومكوناتها؟

٢- ما الملامح الرئيسة للشخصية اليهودية كما وردت في التوراة والتلمود؟

٣- ما أبرز السمات العامة للشخصية اليهودية الإسرائيلية؟

٤- ما أهم آليات البناء الفكري للشخصية الإسرائيلية، وتأثيرها على الصراع العربي – الإسرائيلي؟

أهداف البحث: يهدف البحث الحالي إلى:

١- تعرف مفهوم الشخصية القومية ومكوناتها.

٢- الكشف عن الملامح الرئيسة للشخصية اليهودية في التوراة والتلمود.

٣- تحديد أبرز السمات العامة للشخصية اليهودية الإسرائيلية.

٤- إلقاء الضوء على أهم آليات البناء الفكري للشخصية الإسرائيلية، وتأثيرها على الصراع العربي – الإسرائيلي.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث الحالي في الحاجة الماسة والملحة على مستوى الوطن العربي بمتابعة الشأن الإسرائيلي بحيث تتوفر معرفة رصينة ونقدية عن مختلف مكوناته، مما قد يُسهم في إتاحة الفرصة أمام صانع القرار والمواطن العربي للاطلاع على تفاصيل المشهد الإسرائيلي على نحو علمي. لذا كان من الأهمية أن يتم تفكيك الإطار الأيديولوجي والنفسي والتربوي الذي تشكلت من خلاله مُخيلة الإسرائيليين.

منهجية البحث

تم الاعتماد على المنهج النقدي في البحث الحالي، حيث يُقدم الباحث نقدًا للبنية التربوية والاجتماعية للشخصية الإسرائيلية؛ للكشف عن تأثير تلك البنية على السمات المميزة لهذه الشخصية، بالتركيز على الجانب الأخلاقي (الأكسيولوجي) الناتج عن الفعل التربوي والاجتماعي. "فالنظرية النقدية تنظر للبنْية الاجتماعية والتربوية على أنها بنْية منتجة للقيم الإنسانية" (**عطوان، ٢٠١٥**). ولذا يسعى الباحث للكشف عن نوعية القيم الإنسانية المتوفرة في الشخصية الإسرائيلية وانعكاس ذلك على الصراع العربي الإسرائيلي.

الإطـــــار النظـــري للبـــحث

المبحث الأول– مفهوم الشخصية القومية ومكوناتها:

(١) التعريف اللغوي للشخصية:

"الشخصية في اللغة من الشَّخْص وهو كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان، والشخص: سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه، وجمعه: الشُّخوص والأشخاص. **وعند الفلاسفة** فالشخصية هي: "الذات الواعية لكيانها المستقلة في إرادتها". والشخصية: "صفات تميز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل". **(مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٤، ٤٧٥)**

مما سبق يتبين أن مفهوم الشخصية يشمل على بنية الإنسان الجسمية ومكوناته الحسية المتمثلة في شكلِ وسمات وسلوكيات تميزه عن غيره.

(٢) التعريف الاصطلاحي للشخصية:

في **مجال علم الاجتماع** تعرف الشخصية بأنها: "مجموعة من الأنماط السلوكية والاستجابات المختلفة لمواقف معينة، ويُمكن القول بإن السلوك الإنساني هو نتاج التفاعل بين الطبيعة الإنسانية وبين البيئة الاجتماعية، وبهذا لا يُمكن أن ننسب السلوك إلى الذات وحدها كما تقول بعض النظريات، ولا إلى البيئة الاجتماعية وحدها كما تقول بعض النظريات الأخرى، وإنما السلوك وظيفة تجمع بين الذات والبيئة الاجتماعية في تفاعل مستمر لا ينتهي إلا بنهاية الحياة الإنسانية ذاتها. مع إعطاء أهمية خاصة للبيئة الثقافية التي ينشأ فيها الفرد كعامل مؤثر في طبيعة السلوك الإنساني وهي تشمل العُرف والعادات والتقاليد والقيم والمعايير التي انتقلت إليه من جيل إلى جيل". **(الخشاب، ١٩٨٧، ١٤٥)**

أما في **مجال الانثربولوجي**، فقد أكد العديد من العلماء أمثال **رالف لينتون ومارجريت ميد**، صعوبة فصل الثقافة عن الشخصية، حيث تتكون شخصية الإنسان من خلال ثقافته، "والمقصود هنا الثقافة بمعناها الاثنوجرافي الواسع الذي وضعه **ادوارد**

تايلور وهي ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع". **(غامري، ١٩٨٩، ٥)**

(٣) مفهوم الشخصية القومية:

يمكن تعريفها بوجهٍ عام بأنها ذلك الجانب من الشخصية الذي يرجع إلى عضوية الفرد في قومية معينة. كما أنها ذلك النمط من الخصائص السلوكية الذي يميز أبناء قومية عن أبناء القوميات الأخرى ويكون هذا النمط على درجة واضحة من الاستقرار، لكنه في الوقت نفسه يرتبط بالخصائص الكبرى للمرحلة التاريخية التي تمر بها الجماعة القومية. ومن ثم فليس له ذلك الثبات الميتافيزيقي الذي يشير إليه بعض الباحثين. **(الساعاتي، ٢٠٠٩، ٢٦١)** وقد تعددت المدارس والمداخل التي تناولت دراسة الشخصية القومية وكان أهمها أربعة مداخل رئيسة سوف يعرض لها الباحث كما يلي: **(عبدالفتاح، ٢٠١٨، ١٢-١٣)**

أ- **مفهوم الطابع القومي للشخصية:** كل ما يميز شعبًا بعينه عن بقية الشعوب الأخرى كسلوك واتجاهات وقيم؛ حيث مقومات الشخصية القومية والسمات الطبيعية والثقافية والنفسية وغيرها من الخصائص الاجتماعية الأكثر شيوعًا واستدامة، والتي لا بد أن تؤخذ بالاعتبار في مجالات الحرب والسلام بين مختلف الشعوب. **(الشرنوبي وآخرون، ٢٠١٣، ١٢٩)**

ب- **مفهوم البناء الأساسي للشخصية:** نمط مميز من الفكر والمشاعر والسلوك يُفترض وجوده لدى الناس المنتمين لثقافة واحدة نتيجة تلقيهم أساليب رعاية والدية متشابهة، ولقد وُضع هذا المفهوم للتمييز بين الثقافات المختلفة.

ج- **مفهوم الشخصية المنوالية:** يري **رالف لينتون** أن الشخصية القومية وفق هذا التعريف المستمد من نظرية الشخصية المنوالية تُشير إلى نمط الشخصية الذي يظهر بأكبر قدرٍ من التكرار بين مختلف أنماط الشخصية في مجتمع محدد. **(الساعاتي، ٢٠٠٩، ٢٦٤)**

د- **مفهوم الصورة القومية:** تعني مجرد تصور ذهني قد يكون حقيقة أو وهم، وهي تصور شعب ما عن سمات شعب آخر. وجدير بالذكر أن الصورة القومية والطابع القومي كلاهما يهتم بالسمات الشائعة.

وثمة اختلاف بين المفاهيم السابقة المرتبطة بالشخصية القومية، حيث ذكر **يسين (١٩٩٣، ٥٤)** "أن مصطلح الشخصية القومية يُطبق في الدراسات التي تُجري على المجتمعات الحديثة، في حين أن مصطلح البناء الأساسي للشخصية قد طُبق – فقط- في الدراسات التي أُجريت على المجتمعات الصغيرة التي تتميز بأنها متماسكة نسبيًا." ووفقًا لهذا التعريف يُمكن أن تندرج الشخصية الإسرائيلية تحت مسمى الشخصية القومية، على الرغم من تعدد الجماعات اليهودية المكونة لتلك الشخصية والتي تتباين في ثقافتها، بما قد يسمح بالنظر إلى المجتمع الإسرائيلي بأنه مجتمع متعدد القوميات.

فالشخصية القومية تدل على الخصائص المميزة لمجموعة من البشر، ورغم إمكانية الوقوف علي ملامح شخصية شعب ما بما يؤدي في النهاية إلى التمييز بينه وبين غيره من الشعوب الأخرى، فإن هذه الملامح والخصائص ليست مطلقة وثابتة، لكنها تتغير عبر التاريخ والجغرافيا وبتأثير التحولات المجتمعية والسياسية والثقافية. وعلى هذا الأساس فإن السمات والخصائص المميزة للشخصية الإسرائيلية، التي سيرد ذكرها في مبحثي هذا البحث، يمكن تغييرها بمرور الوقت ولكن في إطار آليات معينة توجه عملية التغيير، وإن كانت عملية التغيير صعبة لوجود بعض المقومات الأعمق تأثيرًا والأكثر ثباتًا في الشخصية القومية.

أمَّا عن تعريف **الشخصية اليهودية الإسرائيلية**، فإن الباحث في دراسته الحالية سيتبنى المفهوم الذي صاغه **سعدات (٢٠١٣، ١٦)** في دراسته حول الشخصية اليهودية الإسرائيلية وأثرها في صياغة الحرب النفسية اليهودية الإسرائيلية، حيث قدم تعريفًا لها بأنها: "تلك الشخصية المعقدة والمتناقضة التي تتكون من مزيج من العناصر الدينية، والتراثية، الممثلة في بعض الأساطير والروايات المرتبطة بالتاريخ العبراني، والعناصر المكتسبة من الحضارات التي عاش في ظلالها اليهود في المجتمعات العربية والغربية،

هذا بالإضافة إلى الصفات والخبرات المكتسبة من خلال الحياة في مجتمع الكيان الإسرائيلي."

ومن التعريف السابق يتبين أن ثمة مجموعة من السمات التي ارتبطت بالشخصية اليهودية الإسرائيلية ولازمتها في مراحل تكوينها حتى الآن، حتى أصبحت تُمثل السمات والأبعاد الأساسية للشخصية الإسرائيلية بذلك المزيج من المكونات المختلفة الماضية والحالية.

المبحث الثاني- صفات اليهود في التوراة والتلمود:

وردت في الكتب المقدسة العديد من صفات اليهود، فقد وصف القرآن الكريم اليهود بعدة صفات، لازمتهم عبر العصور ومازالت إلى اليوم، ويكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض سور القرأن الكريم(*) التي يمكن الرجوع إليها لتأكيد أهم تلك الصفات؛ والمتمثلة في شدة العداوة للمؤمنين، الغرور والاستعلاء، الطبيعة المادية والحب الشديد للمال، نقض العهود والمواثيق، الكذب والاستماع إليه، أكل السحت والربا، التزييف والتحريف، الخوف والجبن والحرص على الدنيا، الحرص على إيقاد الحروب، المسارعة في الإثم والعدوان، الجدال والتحايل، الشدة والقسوة، كتمان الحق والعِلم، قلة الأدب مع المولى عز وجل، قتل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الغدر والخيانة، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انتشار الاختلاف فيما بينهم، الحِقْد والحَسَد، البُخل الشديد، الاعتماد على السِّحْر، الإصرار على المعاصي، السفاهة، اجتناب الطريق السوي، محاربة دين الله، وغيرها من الصفات.

ومن ناحية أخرى، يزخر تاريخ اليهود على النحو المدوَّن به في التوراة والتلمود بالكثير من السمات التي صاحبت الشخصية اليهودية، فعند تتبع التكوين العقائدي للشخصية اليهودية الإسرائيلية يسهل تفسير حالة العدوانية والعنف والصراع والعنصرية وغيرها من الصفات الملازمة لتلك الشخصية، ونظرًا لتعدد الصفات التي يتسم بها اليهود

(*) يمكن الرجوع إلى بعض السور القرأنية المتضمنة لصفات اليهود في عدة آيات منها، كسورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الاعراف، الانفال، التوبة، الحج، الزمر، الشورى، الحشر.

والتي وردت في التوراة والتلمود، **فسوف يركز الباحث على أكثر هذه الصفات بروزًا، ويمكن عرضها كما يلي:**

١- العدوانية:

استلهمت الشخصية اليهودية من النصوص التوراتية والتلمودية ما يرسخ العدوانية كسلوك مقدس يُعطي لبني إسرائيل المبرر لاستخدام كل السبل لتحقيق النبوءات والوعود، ويمهد الطريق أمام القتل والدمار. "فالعهد القديم يمتلئ بكثير من النصوص التي تُبعث منها رائحة العنف والدمار، والتي يستلهمها الحاخامات اليهود في فتاواهم ويعضدونها بهذه النصوص العدوانية التي تقذف الرعب في قلوب الجوييم وتذكرهم برب إسرائيل الذي يحارب مع بني إسرائيل فقط ويمهد الطريق لتحقيق مآربهم في الغزو والاحتلال." **(علام، ٢٠٠٧، ٥٦).**

ومن أبرز النصوص التي وردت في أسفار التوراة وتؤكد الروح العدوانية لليهود، ما يلي:

- " الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلًا قَلِيلًا. لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلاَّ تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا. وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ. " **(سفر التثنية، الاصحاح ٧، ٢٢-٢٤)**
- " الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً. هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ." **(سفر التثنية، الاصحاح ٩، ٣)**
- " فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ. ". **(سفر العدد، الاصحاح٣١، ١٧-١٨)**
- ويحي الرب موسى قائلا: " فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ." **(سفر العدد، الاصحاح ٣٣، ٥٢).**

- كما جاء في **(سفر الخروج، الاصحاح ٣، ٢١-٢٢)**: " وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ.بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ." ويعكس هذا المقطع سمة من السمات الرئيسة للشخصية اليهودية، حيث تبرز نزعة التخصيص بحيث يكون اليهودي مسئولًا أمام الإله عن الأذى الذي يلحقه بأحد من اليهود، لكن بإمكانه أن يغش أو يسرق أو حتى يقتل غير اليهود دون أن يكون مسئولا أما الرب ودون أن يُعد ذلك انتهاكًا لتعاليم الدين. وتترجم إسرائيل ذلك عمليًا بتأمينها اللجوء والحماية لليهود الفارين من وجه العدالة في الدول الأخرى بما فيها الولايات المتحدة نفسها.
- كما جُمعت قوانين الحرب والعدوان والاستيلاء على المدن في سفر التثنية في اللإصحاحات ٢٤، ٢٣، ٢٠، ومنها على سبيل المثال ما ورد في **(سفر التثنية، الإصحاح ٢٠، ١٠-١٦)**: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا."

إن هذه النصوص وغيرها تحوي إشارات واضحة تدعو للعنف والقتل والابادة والطرد لكل من هو غير يهودي. بالاضافة إلى ذلك، فقد ورد في التلمود جواز قتل غير اليهود وهو أمر واجب عند التمكين من إجرائه ولا يُعد قتله جريمة بل فعل يُرضي الله. فقد جاء في التلمود "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين وحُرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد

الوثنيين. وجا أيضا إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر ويلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثني المذكور فيها" **(لوران، ١٩٦٨، ١٥٣)**.

وورد في التلمود وفتاوى الحاخامات ما يؤيد العدوانية والانتقام من كل الأغيار، فقد أصدر الحاخام اليهودي أ. فيدان زيميل فتوى دينية يقول فيها: في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية أو غارة، إذا لم يتوافر دليل بإلحاقهم الأذى بقواتنا، فهناك إمكانية لقتلهم أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاكاه – أي الشريعة – بل تحض الهالاكاه على قتل حتى المدنيين الطيبين. وقد ضُمنت هذه الفتوى في اتفاقات أوسلو." **(عمارة، ٢٠٠٤، ١٠٥)**

٢– العنف والوحشية:

تضرب جذور العنف والوحشية بأطنابها في الشخصية اليهودية، وإذا كان هذا العنف قد تزايد بعد إدعاء اليهود بتعرضهم للإبادة الشاملة والتشريد، إلا أن تاريخ اليهود قبل عصر التوراة وبعده يُعد تاريخًا دمويًّا حربيًّا مليئًا بالغزو والعدوان، وتغلب عليه صفة الشراسة والعنف. وقد تبلور لليهود تراث دموي يمجد الحرب الدينية، منقلبًا على الشريعة الموسوية الحقة. ومن نصوص التوراة التي تدعو إلى العنف وسفك الدماء، ما يلي:

- "وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَة، مِنْ طِفْل وَشَيْخ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْف.." **(سفر يشوع، الإصحاح ٦، ٢١)**.
- **وذُكر أيضا:** " وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْف، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا". **(سفر يشوع، الإصحاح ١٠، ٢٨)**.
- وتُتوج وصايا الحرب تلك العبارة الناضحة بالشر: قُومِي وَدُوسِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي أَجْعَلُ قَرْنَكِ حَدِيدًا، وَأَظْلاَفَكِ أَجْعَلُهَا نُحَاسًا، فَتَسْحَقِينَ شُعُوبًا كَثِيرِينَ، وَأُحَرِّمُ غَنِيمَتَهُمْ لِلرَّبِّ، وَثَرْوَتَهُمْ لِسَيِّدِ كُلِّ الأَرْضِ." **(سفر ميخا، الإصحاح ٤، ١٣)**

- "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ" **(سفر الخروج، إصحاح ١٧، ١٤)**. وقد أصبح كل الأغيار مثل العماليق عبر تاريخ هذا التراث.
- "إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلًا... فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ. وَلاَ يَلْتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَرَّمِ، لِكَيْ يَرْجِعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً. يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ" **(سفر التثنية، إصحاح ١٣: ١٢، ١٥-١٧)**
- وجاء في **سفر حزقيال (إصحاح ٣٩، ١٧-١٩)**: " فَهكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالَوْا، احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، لِتَأْكُلُوا لَحْمًا وَتَشْرَبُوا دَمًا. تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ. كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ. وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشَّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ."
- كما ورد في **سفر إشعياء (إصحاح ٣٤، ٢-٦)**: " لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ، وَحُمُوًّا عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ. قَدْ حَرَّمَهُمْ، دَفَعَهُمْ إِلَى الذَّبْحِ. فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ، وَجِيَفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا، وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ... لِلرَّبِّ سَيْفٌ قَدِ امْتَلأَ دَمًا، اطَّلَى بِشَحْمٍ"

وعلى هذا "فإن الوحشية تجري في عروق اليهود ومتأصلة في نفوسهم، ولهم ولع شديد بالقتل والذبح والشنق والحرق والتنكيل والتعذيب وإبادة الناس بالجملة، وما يؤكد ذلك هو كيفية إستنزاف دم غير اليهودي "مسيحي أو مسلم" واستخدامه في طقوس عيد الفصح والبوريم، ومنها ما يمارسونه من مجازر ضد الفلسطينيين اليوم وقبله، وهي مستمدة جميعها من كتبهم المقدسة." **(عيسى، ٢٠٠٨، ١٠٤)**.

وعليه فقد أصبح المثل الأعلى لدى الشباب الإسرائيلي هو ذلك النمط الذي تتجسد فيه ملامح القسوة الإسبرطية المتوحشة المتعطشة للدماء والعنف والوحشية. وثمة أمر في غاية الأهمية يجب الإشارة إليه عند محاولة تفسير العنف في الشخصية الإسرائيلية، فتلك الشخصية تتسم بنوع من التناقض الشديد ما بين الشعور بالدونية تجاه الأمم غير اليهودية تارة، والشعور بالاستعلاء تارة أخرى. وقد كان للديانة اليهودية دور مهم في صياغة هذه الشخصية على هذا النحو، فبعض النصوص في التوراة تحدثت عن اليهود كجماعات دونية ومستعبدة وضعيفة، فقد ورد في **(سفر الخروج، إصحاح ١، ١٣-١٤)** " فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْف، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا". وفي الوصايا العشر ورد أيضًا: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ". **(سفر الخروج، إصحاح ٢٠، ٢)**

وفي نفس الوقت تَبين وجود العديد من النصوص التوراتية التي يتخذها اليهود مصدرًا للاستعلاء والفوقية والغرور كمقولة شعب الله المختار وغيرها – كما سيرد عرضها. فهذه النصوص التوراتية أسهمت في تكوين الشخصية الإسرائيلية بجوانبها النفسية والأخلاقية بل والسلوكية تجاه التعامل مع الأغيار – وخاصة العرب – على مر العصور.

فعملية ممارسة الاستعلاء والفوقية المصحوبة بالعنف تجاه الآخرين، بل وبالتلذذ بتعذيبهم وقهرهم يطلق عليها علماء النفس التوحد في المعتدي [*] أي إن العبد المضطهَد يصبح سيدًا مضطهِدًا يأخذ في ممارسة دور السيد تجاه الآخرين الذين صاروا بالنسبة له عبيدًا.

(*) التوحد في المعتدي: ويقصد به بالنسبة لليهود الإسرائيليين اتخاذ عنف وقسوة النازي مثلا أعلى، ويعني به في نفس الوقت الاقتداء، وهو يضاهي في علم النفس مصطلح الإزاحة أي إزاحة هدف العنف والقسوة من قصد العنف الأصلي إلى هدف آخر، وهو ما يطبقه الإسرائيليون الآن، حيث أزاحوا عنف النازي إلى الشعب العربي الفلسطيني بدلا من رده إلى النازي المعتدي. انظر: **(الشامي، ١٩٨٦، ١٤٠)**.

إن تعاليم التلمود والتوراة قد امتلأت بكثير من النصوص التي أرست مشاعر الدونية والاستعلاء في آن واحد لدى الشخصية اليهودية، والتي أحدثت نوعًا من الارتباك والانفصام الذي يتولد عنه الروح العدوانية وعبادة القسوة والعنف. ويتخذ الحاخامات اليهود من هذه النصوص مصدرًا للدعوة إلى العنف وسفك الدماء وإصدار الفتاوى للجيش الإسرائيلي بقتل المدنيين العُزَّل. فلهذه الفتاوى أثرًا كبيرًا في تغذية الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والوحشية.

٣- العنصرية والاستعلاء:

ورد في التعاليم اليهودية ما يؤكد على عنصرية اليهود الشديدة والتي تقوم على رفض الآخر على مر التاريخ، فقد زعموا بأنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما عداهم (الجوييم أو الأميين) إنما خلقوا لخدمتهم، وأنهم عبيد لهم وليسوا بشرًا لهم كينونتهم ويجب قتلهم واستعبادهم وإبادتهم من الوجود.

وقد وردت في أسفار التوراة عبارات عديدة تبين طبيعة النظرة العنصرية للأنا اليهودية وللآخر غير اليهودي، فقد جاء في **سفر التثنية (الإصحاح ٧، ٦-٨)**: " لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ".

وجاء أيضًا: " وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا الْتَصَقَ بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ". **(سفر التثنية، الإصحاح ١٠، ١٥)**.

وجاء في **سفر إشعياء (الإصحاح ٦٠، ١٠-١٢)**: " وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ. لأَنِّي بِغَضَبِي ضَرَبْتُكِ، وَبِرِضْوَانِي رَحِمْتُكِ. وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلًا لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ، وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ.لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ الأُمَمُ."

ويرجع إدعاء الحاخامات المتطرفين بالحق الديني لليهود في أرض فلسطين العربية إلى فكرة ذلك الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفق ما جاء في العهد القديم في أسفار عدة. وقد بدأت هذه الفكرة مع سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في سفر التكوين، حيث يقول الرب: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً". **(سفر التكوين، إصحاح ١٢، ١-٢)**. ويتم التأكيد في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: " أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا" **(سفر التكوين، الإصحاح ١٥، ٧)**. وتكرر هذا الوعد مع إبراهيم (عليه السلام) في **الآية الثامنة بالإصحاح السابع عشر من سفر التكوين** أيضًا: " وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا". كما ورد أيضًا: " وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ. وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ." **(سفر التكوين، إصحاح ٢٦، ١-٣)**

وقد تكرر هذا الوعد مع كل أباء بني إسرائيل، وهو ما قد يثير الريبة الشك في العهود الكثيرة المتكررة بنفس الطريقة وغالبًا نفس الألفاظ، والتى ربما لجأ إليها مدون العهد القديم ليؤكد الشرعية الدينية لليهود في أرض فلسطين. فتكرر الوعد مع نبي الله إسحاق في سفر التكوين الإصحاح السادس والعشرين، وتكرر مع نبي الله يعقوب في الإصحاح الخامس والثلاثين، ثم تكرر مع موسى (عليه السلام) في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد.

أما ما ورد في التلمود فيجعل من اليهود أكثر تميزًا وغرورًا، ويرفع من قدرهم ومنزلتهم ويحط من منزلة غير اليهود ويجعلها في مصاف الحيوانات. ونص ذلك في "نحن شعب الله في الأرض سخر لنا الحيوان الإنساني، وهو كل الأمم والأجناس سخره لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب. وجاء أيضًا: أن اليهود من عنصر الله كالولد

من عنصر أبيه ومن يصفع اليهودي كمن صفع الله، وجاء أيضًا: لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض. ويقول أحد أحبار اليهود مخاطبا بني قومه: يا معشر اليهود إنكم أنتم البشر أما الشعوب الأخرى فليسوا من البشر بشيء إذ أن نفوسهم آتية من روح نجسة، أما نفوس اليهود فمصدرها روح الله المقدسة". **(الهول، ٢٠٠٤، ٤٦)**.

كما يقول التلمود: النعيم مأوى الأرواح الذكية، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين. والجحيم أوسع من النعيم ستين مرة لأن الذين لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين، والذين لا يُختنون كالمسيحيين الذين يحركون أصابعهم (يفعلون إشارة الصليب)، يبقون هنالك خالدين". **(المطعني، ١٩٩٦، ٣٣)**.

كما ورد أيضًا في التلمود البابلي: "كما أن العالم لا يُمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل. وهذا القول وحده كافٍ لوضع علامات على حدود الشخصية الإسرائيلية، فهو يعكس النزعة العنصرية التي تجعل الإسرائيلي يشعر أنه من جوهر غير طينة البشر جميعًا، وأن هذا الجوهر متفرد بأسرار ومواهب لا توجد في غيره، وأن الإسرائيلي قد خُلِق كذلك بتدبير سماوي، لأن الدنيا التي أبدعها الله سبحانه وتعالى ما كان يُمكن أن يستقيم أمرها من غير اليهود" **(ظاظا، ١٩٩٠، ٩)**. فقد آمن اليهود بحقارة أمم العالم في مقابل فكرة الامتياز والاستعلاء على البشر، وقد استَخدمت في اللغة العبرية لفظ خاص بغير اليهود – الجوييم.

ويُعد التلمود صاحب التأثير الأكبر في تشكيل الشخصية الإسرائيلية رغم أنه "مركب عجيب لآراء وأحكام متناقضة، وهو يختلف مع التوراة كثيرًا في أحكامه بما يؤكد أنه لا يُمكن أن يكون شريعة إلهية، وما يحويه من أحكام وتعاليم يوضح مدى الخواء الفكري والانحطاط العقلي لدى اليهودي الذي يؤمن بهذه التعاليم والأفكار المنبثقة من شخصيات تشبعت بالحقد والعداوة لبقية الشعوب، وعشقت التسلط وسفك الدماء من أجل تحقيق مطامعها". **(عيسى، ٢٠٠٨، ٥٠)**. ومع ذلك فإن هذا المركب العجيب من النصوص التلمودية بل وكل التعاليم اليهودية يُعد من المحددات الرئيسة للأطر العامة للشخصية اليهودية.

المبحث الثالث– السمات العامة للشخصية اليهودية الإسرائيلية:

إن تحديد السمات العامة للشخصية الإسرائيلية يُعد من الأمور المُعقدة للغاية؛ نظرًا لأن البناء الأساسي لأي شخصية – والذي يشترك فيه غالبية أعضاء المجتمع – هو نتيجة للخبرات التي اكتسبوها معًا، ولما كان المجتمع الإسرائيلي يتكون من طوائف متعددة غير متجانسة وأخلاطًا متنافرة من المستوطنين الذين هاجروا إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم، مما جعل تحديد هوية واحدة لكل هؤلاء أمرًا مازال يمثل تحديًا أمام "إسرائيل"، هذا بالإضافة إلى الظروف التاريخية والاجتماعية والفكرية والسياسية التي خضعت لها هذه الشخصية، ومع ذلك يُمكن تحديد بعض السمات العامة الرئيسة التي تميز هذه الشخصية، والتي يُمكن استقراؤها من خلال الدراسات التي تناولتها بالعرض والتحليل سواء كانت دراسات نفسية أو إنثربولوجية اجتماعية أو أدبية أو غير ذلك، مع الاعتراف بأن هذه السمات قد لا تنطبق بنفس القدر على كل أنماط الشخصية اليهودية الإسرائيلية.

وبناءً على ذلك يمكن تحديد أبرز السمات العامة التي تعد كخصائص مرتبطة بالشخصية اليهودية الإسرائيلية، والتي تناولتها العديد من الدراسات والبحوث.

- **السمات التي ذكرها الشامي (١٩٨٦، ١٠٤–١٣٨) في دراسته بعنوان "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية" والتي جاءت على النحو التالي:**

١– **الإحساس بالوطنية الإسرائيلية:** وترتبط هذه السمة بالصباريم أكثر من الطوائف الأخرى؛ حيث إنهم يشعرون أنهم يعيشون كمواطنين عاديين في دولة عادية؛ لأنهم ولدوا على هذه الأرض وتحدثوا لغتها، ولم يعرفوا وطنًا آخرَ غير إسرائيل.

٢– **رفض الحل الأرثوذكسي للعلاقة مع التراث اليهودي:** وذلك لأن اليهودية الأرثوذكسية توحي بصورة يهودي روسيا البائس الذي كان يعاني الكبْت والقمْع، وهي الصورة التي يود يهود ألمانيا وروسيا وبولندا أن ينسوْها، فثمة اتفاق بين معظم التحليلات السيكولوجية التي كُتبت بأقلام يهودية، أكدت على أن اليهود الأشكنازيم لا يزالون يخجلون من ماضيهم. ومن هنا، فإنهم لا يشعرون بنزعة

قاهرة للاستخفاف باليهود السفارديم والعرب على حدٍّ سواء لإرضاء الأشكنازيم في إسرائيل.

٣- **تحول الأيديولوجية إلى مجرد جزء من العالَم الثقافي الشامل:** أصبح الاتجاه السائد لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية هو التحرر بقدر الإمكان من قيود الأيديولوجية الملزمة والاتجاه إلى الاستقلال الذاتي أكثر من الاتجاه إلى قيم الوجود الجماعي، فسادت المادية والمتع الدنيوية وإرضاء الذات كما لو أنهم يطبقون مبادئ الفكر الوجودي، وهم أيضًا يؤمنون بنسبية الحقيقة كما يفعل الغربيون.

٤- **الانقسام الذاتي بين الواقع الإسرائيلي الحاضر وبين الماضي الجيتوي.**

٥- **التجمع حول السلطة في حالة التهديد من الخارج أو الإذعان للشرعية،** وبهذه الخاصية يمكن للقادة أو ممثلو السلطة التلاعب بعقول الإسرائيليين عند اتخاذ القرارات.

٦- **التأرجح بين الإخلاص للجماعة وعدم المبالاة بالآخرين،** مما ينتج عنه صعوبة في إيجاد توازن بين الفرد والجماعة أو الجمهور.

٧- **البرود العاطفي:** يُعد البرود الانفعالي أو العاطفي من السمات الرئيسة التي تُميز الإنسان الإسرائيلي، فهو عدواني لا يعرف الرحمة، منغلق على نفسه، لا يعرف حرارة الانفعال، يبدي دائمًا تحفظًا عاطفيًّا مقصودًا، كما أن لغة الإسرائيليين كثيرًا ما تكون قاسية وليس بها أي زخرف، وغير متنوعة، وتُستخدم في جمل قصيرة وسريعة.

٨- **الحساسية تجاه النقد والشرعية:** فقد كانت الهجرات اليهودية إلى فلسطين ومبدأ العودة الذي رفعته الصهيونية أمور لم تقم على أساس مبدأ شرعي متعارف عليه بين الجميع، ذلك لأن ادعاء الصهاينة بالحقوق التاريخية في فلسطين، واستناد الصهيونية إلى الوعد الإلهي، كل هذه الأمور كانت فريدة في نوعها ومعادية لكل من التاريخ والعقل ولا تتفق وروح القرن العشرين ومعاييره. لذلك فإنه رغم التظاهر بالثقة الزائدة فإن إسرائيل حساسة للنقد الأجنبي أكثر من معظم الدول. وقد استشهد **عبدالله**

الشامي ببعض الأقوال التي قام دكتور **فرانس جوزيف شيدل** بتجميعها في مقدمة كتابه "أسطورة إسرائيل" عن حساسية اليهود تجاه النقد، ذكر منها قوله: يجوز للمرء أن يتحدث دون مبالاة عن أي دين أو أي عنصر أو طبقة، ولا يجرؤ أن يوجه لليهود أي كلمة نقد... أليس هذا منطقًا غريبًا؟ إنه أمر عجيب للغاية ويحتاج منا غاية التسامح عندما نلقي بهؤلاء الناس. إن كل أمة معرضة للنقد، ولكن إذا ما تجرأ شخص على أن يمس اليهود وينتقدهم، حينئذ تتشابك أيدي اليهود حول هذا العيب توضحه وتلتمس المعاذير.

٩- **الروح العدوانية أو التوحد بالمعتدي:** وقد سبق توضيح هذا المفهوم. وتم التأكيد على أن تاريخ اليهود ملئ بالغزو والعدوان وتغلب عليهم صفة الشراسة والعنف، ثم تحولت هذه الشخصية العنيفة لفترة ما إلى شخصية مستضعفة خائفة نتيجة تعرضها للإبادة والتشريد، فلم يبق في الشخصية اليهودية إلا عناصر الجبن والخوف والخبث. وبعد تعرض اليهود لمرحلة التيه في الصحراء في العصور القديمة، ومرحلة الشتات في العصر الحديث، ولكن اليهود يحاولون إخفاء هواجسهم الداخلية عن الأشخاص الآخرين باتخاذ الغطرسة. إلا أن افتقارهم الخفي للثقة في أنفسهم يظل قائمًا. ومن أجل هذا السبب فهم يمارسون مع الاشخاص الأضعف منهم نفس الاستخفاف ونفس القسوة اللذيْن تعرضا لهما فيما مضى. وهذه الظاهرة معروفة في علم النفس بالتوحد بالمعتدي. والآن أصبح اليهودي الضحية نازيًّا له ضحاياه، يَقتل بدلًا من أن يُقتل.

١٠- **الإحساس بالافتقاد للجذرية:** فما زال الإسرائيليون يبحثون عن أدلة تثبت أحقيتهم المزعومة في أرض فلسطين. ومن هنا فقد أصبح ولَعُ الإسرائيليين بالآثار "هواية شعبية" أو "رياضة قومية". وعلماء الآثار في إسرائيل – محترفون وهواة – لا يحفرون من أجل الخبرة الفنية والاكتشافات، بل ليقروا من جديد جذورهم التي يرونها في المخلفات اليهودية العتيقة التي يعثرون عليها في أنحاء البلاد. فالتنقيب بالنسبة لهم هو نوع من تأكيد الذات؛ فهم يبحثون عن ماضٍ لهم من أجل إثبات الواقع الحالي في فلسطين ليكون وجودهم ذو شرعية.

"أن الفكرة الجوهرية التي تركز عليها الدراسات التوراتية هي اعتبار مملكة إسرائيل القديمة حقيقية تاريخية لا جدال فيها، ومن ثم التأكيد على وجود استمرارية تاريخية مباشرة بين مملكة إسرائيل القديمة وبين دولة إسرائيل الحديثة. ولا يقتصر الأمر على تأكيد هذه الاستمرارية التاريخية، بل تسعى الدراسات لتأكيد التوازي بين التاريخين، بحيث توظف أحداث التاريخ القديم في خدمة الإطماع السياسية الصهيونية المعاصرة. وفي المقابل، يتم طمس أي مفهوم مماثل لأي استمرارية لتاريخ الشعب الفلسطيني بين الماضي والحاضر". **(الهنيدي، ١٩٩٩، ٨)**.

"وفي مقابل التهميش وعدم السماح للتاريخ الفلسطيني القديم بالوجود، يمكن متابعة كيف تم اختراع إسرائيل القديمة. وقد بين الكاتب **فيليب ديفيس** أن إسرائيل القديمة المذكورة في الدراسات التوراتية هي من اختراع عقول العلماء، وأن هذا الاعتقاد بُني على فهم خاطئ للتراث التوراتي بل إنه بعيد عن الحقيقة التاريخية". **(وايتلام، ١٩٩٩، ٢٨)**.

إن تسليط الضوء على محاولات تلاعب الإسرائيليين بعلم الآثار والحفائر الاركيولوجية أمرًا في غاية الخطورة ويحتاج إلى اهتمام بالغ من علماء الآثار والتاريخ العرب لدحض أي محاولات لتشويه وتزييف التاريخ الفلسطيني العربي، فقد سعت الصهيونية منذ نشأتها إلى توفير المناخ الملائم للعمل في مجال التاريخ والتنقيب عن الآثار، واعتبرت ذلك العمل لا يقل أهمية عن العمل السياسي والاقتصادي والتربوي لإنشاء الوطن القومي اليهودي. وحتى لا يخرج الباحث بعيدًا عن موضوع دراسته فيكُتفي بالإشارة إلى كتاب **كيث وايتلام** بعنوان "**اختلاق إسرائيل القديمة إسكان التاريخ الفلسطيني**" للرجوع إليه ومعرفة الصراع الذي دار بين المؤلف وبين مجموعة من الباحثين يُطلق عليهم المدرسة التوراتية أو الباحثين التوراتيين، وقد أوضح في كتابه أنه قد تعاقبت على فلسطين القديمة حضارات عدة، وأن إسرائيل القديمة لم تكن إلا خيطًا رفيعًا في نسيج التاريخ الفلسطيني الغني، وأوضح كيف أن السلطات اليهودية المهيمنة على الاكتشافات الأثرية في فلسطين تعمل على طمس معالم الحضارة العربية الكنعانية التي هي من أقدم الحضارات في فلسطين، وكيف يحاول اليهود تجريد الفلسطينيين من ماضيهم من خلال البحث المتواصل عن إسرائيل القديمة وتكرارهم لعددٍ من الادعاءات

التي تربط الماضي بالحاضر، وتجاهلهم للمعلومات الأثرية الجديدة التي تعطي صوتاً للتاريخ الفلسطيني.

- **أبرز سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية، كما ذكرها سعدات (٢٠١٣، ٥٩ – ٦١):**

١- **الاستعلائية:** تلك الصفة التي جعلتهم مغرورين ومنعزلين عن غيرهم. وقد اشتهر اليهود بالغرور والكبر، والميل إلى الانعزال في وسط كل المجتمعات التي عاشوا في ظلالها حتى عُرف عنهم ما سمي الجيتو اليهودي.

٢- **التعقيد السلبي:** فقد تكونت الشخصية اليهودية الإسرائيلية من مزيج من العناصر الدينية والتوراتية، والتراثية، والأساطيرية، علاوةً على العناصر المكتسبة من الحضارات التي عاش في ظلالها اليهود سواء كانت المجتمعات العربية أو المجتمعات الغربية التي كان لها عظيم الأثر على نفوس الجماعات اليهودية. بالإضافة إلى عنصر السمات المكتسبة من المرحلة الإسرائيلية أي خبرة هؤلاء اليهود الذين يعيشون في إسرائيل خلال سبعون عامًا من الحروب والصراعات والمفاوضات وغيرها.

٣- **العدوانية:** يميل اليهود إلى العنف لاسيما مع غير اليهودي، ولذا فهم يحرصون على امتلاك كل أشكال القوة سواء أكانت ناعمة مثل القوة الدبلوماسية أو الصلدة مثل القوة الاقتصادية والعسكرية، ويركزون على تفوقهم النوعي والكمي في التكنولوجيا العسكرية، وتعتبر القوة والحل العسكري الحل الأمثل لحل أي نزاع، كما أنهم لا يحترمون أي مواثيق أو أعراف أو قرارات دولية فيما يتعلق بالإنسان سواء كان مدنيا أو امرأة أو طفل أو شيخًا مسنًّا، أو حتى فيما يتعلق بالحيوان والنبات.

٤- **التطرف:** يميل اليهود للتطرف في كل شيء، فلا يوجد وسطية في الشخصية اليهودية حتى في الاتجاهات أو الآراء، فينقسم اليهود أما متطرفون في الإلحاد، أو مغالون في التدين.

٥- **التناقض:** تُعد الشخصية اليهودية شخصية شديدة التناقض، فهي تجمع بين الشعور بالتميز والاستعلاء والتفوق والعبقرية وفي نفس الوقت تشعر بالضعف والمهانة والمذلة وكراهية النفس واحتقار الذات، تجمع بين الإيمان بقوتها الخارقة والجبن الشديد.

٦- **الشخصية اليهودية مغلولة:** يستعبدها المال وتكبلها الشائعات وتخنقها الأساطير ويغللها الحقد، ولذا يطلق عليها تسمية الشخصية المغلولة.

- **سمات الشخصية الإسرائيلية، كما وصفها حسن (١٩٩٨، ١٠٣-١٠٦):**

فقد وصف الشخصية الإسرائيلية بأنها شخصية معقدة في بنيتها لأنها جمعت عناصر مستمدة من عدة مصادر تراثية بالنسبة للتكوين الشخصي للإسرائيليين. فهناك صفات إسرائيلية مكتسبة من العقيدة اليهودية، وهناك صفات مكتسبة من الحضارة الغربية بالإضافة إلى صفات تطورت خلال المرحلة الإسرائيلية. ومن خلال هذه المصادر، اختلطت في هذه الشخصية عدة صفات متناقضة، فهي شخصية يهودية عنصرية استعلائية عدوانية انعزالية عقلانية علمانية إلحادية، وأيضًا شخصية متطرفة في تدينها إذا لم تكن علمانية، وهي أيضًا شخصية يغلب عليها الغرور والصَّلَف والشعور بالتميز والتفوق، كما أنها شخصية غير سوية في معظم الأحوال ومعقدة نفسيًّا لأسباب تعود إلى طبيعة الديانة وإلى أحداث التاريخ اليهودي. إنها شخصية لا تعرف الاعتدال في حياتها، فهي تجمع بين الشعور بالتميز والاستعلاء وبين الشعور بالمذلة والاحتقار، كما تجمع بين الشعور الشديد بالضعف والشعور بالقوة الخارقة المولدة للغرور والصلف. إنها الشخصية التي وقعت تحت أشكال عديدة من الاضطهاد ولَّدت لديها مشاعر المذلة والعزلة والكراهية، وعندما أتيحت لها فرصة السيطرة على الآخرين مارست معهم كل أشكال الانتقام والغرور ومشاعر القوة. ويغلب على الشخصية اليهودية والإسرائيلية مشاعر الاغتراب والوحدة والتشاؤم والعزلة والعداء للآخرين وكراهية الأغيار.

عند تفحص العلاقة بين السمات التي ميزت الشخصية اليهودية الإسرائيلية في الكتابات والأدبيات التي تناولها البحث، يتبين مدى تشابه وتكرار هذه الصفات في تلك الكتابات مما يؤكد أنها بالفعل صفات تأصلت في تلك الشخصية وباتت تمثل أهم مقوماتها

ومكوناتها، ومنه يتأكد الدارس والمحلل لهذه الشخصية بأن ما يقوم به الإسرائيليون اليوم، بل وفي كل حقب التاريخ السابقة إنما هو حلقة في سلسلة العنف والاضطهاد اليهودي الإسرائيلي الذي لا يمكن إيقافه بعقد المؤتمرات أو الاتفاقيات أو المعاهدات. فهذه الشخصية لا تعترف أو تحترم أي معاهدات، فهي تؤمن بأنه لا وعود مقدسة.

وعليه، فإن للتربية العربية دورًا بالغ الأهمية لمواجهة تلك الشخصية وأمثالها، التي تُكِنُّ للعرب والمسلمين العداء الشديد، إنه عداء حضاري ثقافي وليس مجرد عداء عقائدي، والإسلام ليس مجرد حضارة متميزة عن الحضارة الغربية التي يسير على هديها اليهود، فالإسلام حضارة عالمية وليست محلية كحضارات كثيرة في العالم، ولذا فهو المنافس الأول والأخطر للحضارة الغربية على النطاق العالمي. كما أن للتربية العربية دورًا مهمًّا في مواجهة الفلسفات والأنساق الفكرية التي اجتمعت على أن العنف والقتال والصراع غريزة تمتد بجذورها في طبيعة الإنسان. ولكن الأمر عكس ذلك، فالقتال إستثناء ومكروه، والصراع غالبا ما ينتهي بإلغاء التعددية والقضاء على الآخر، وهو تحويل وتبديل لسنة من سنن الله في الكون، وهي الاختلاف والتمايز.

المبحث الرابع– آليات البناء الفكري للشخصية الإسرائيلية، وتأثيرها على الصراع العربي – الإسرائيلي:

تتعدد مصادر البناء الفكري للناشئة في إسرائيل، وتُعد مؤسسات التعليم الرسمية أهم هذه المصادر بما تقره من مناهج وكتب دراسية، وما تزوَّد به المكتبات للمطالعة، ما يُطرح في الاسواق من كتب، بالإضافة إلى وسائل الإعلام وما تبثه من برامج وأفلام موجهة لنشر الثقافة الصهيونية. "كما تعد خطب السياسيين وقادة الرأي من أسس البناء الفكري لعقلية للناشئة في إسرائيل، كما تسهم كتابات المفكرين والأدباء في بلورة وصياغة عقل الناشئة الإسرائيليين، وتُمثل المرتكز الأساسي للعملية التربوية. كما تؤدى فتاوى الحاخامات دورًا محوريًّا في تشكيل وجدان المجتمع ككل والأطفال والشباب بصفة خاصة". **(عبد الوهاب، ٢٠١٢، ٢٥٨)**

ويؤدي التعليم الدور الأهم في عملية إعداد الطفل وتشكيل شخصيته، فمن خلال المناهج والانشطة الدراسية يتم إكساب الطفل العديد من الحقائق الزائفة عن العرب والوطن العربي، ويتم تدريس النصوص التوراتية والتلمودية التي تحث على ضرورة قتل العرب وسفك دمائهم والتخلص منهم نهائيًّا، وبهذه الطريقة يتم غرس وتأصيل كراهية العرب في نفوس الناشئة منذ مراحل التعليم الأولى. هذا بالاضافة إلى وسائل التنشئة الاخرى التي تسعى مع التعليم إلى الإعداد المتكامل للشخصية الإسرائيلية التي تتعامل فيما بعد مع الفلسطينيين بكل عنف وشراسة ودَمٍ بارد.

ويُعد نهج العنف والقتل الذي اتبعه **يوشع بن نون** الذي خلف سيدنا موسى عليه السلام في قيادة بني إسرائيل عند دخوله أرض فلسطين، هو النموذج الأكبر تأثيرًا في تشكيل شخصية الطفل الإسرائيلي، ويحدد نمط سلوكه تجاه العربي، وبالتالي فإن الطفل يجد مرجعية دينية مستمدة من نصوص التوراة والتلمود لممارسة القسوة والوحشية في التعامل مع الفلسطينيين.

وعلى هذا الأساس فإن عمليات القتل والعنف مع الفلسطينيين ليست أمرًا غريبًا على الشخصية الإسرائيلية، وتبدو المعايير والقيم الانسانية ومبادئ حقوق الانسان أمرًا هامشيًّا عند التعامل مع الفلسطينيين قد أثبتت نتائج العديد من الدراسات التحليلية احتواء الكتب والقصص العبرية على حقائقَ مغلوطةٍ وعباراتٍ تساعد على تعزيز كراهية الإسرائيليين للعرب وضرورة تعاملهم بعنف ووحشية معهم. وتستكمل المناهج الدراسية الإسرائيلية مسيرتها في محاولات تجريد العرب من إنسانيتهم، من خلال الربط بين أعياد اليهود الدينية وبين اضطهاد الأغيار لهم كما يدعون. فعيد الفصح مرتبط بخروج اليهود من مصر – أرض العبودية والذل بالنسبة لهم، ويوم التاسع من آب (أغسطس) حريق الهيكل، والتاسع من تموز (يوليو) احترقت أسوار القدس، والثالث من تشرين (أكتوبر) قتل الملك **جدلياهو** الذي قاد اليهود بعد خراب الهيكل. وقد أدى كل ذلك إلي ترسيخ صورة نمطية لدى الإسرائيليين بأن العرب عدوانيين ومدمرين.

وفي هذا السياق ثمة ضرورة تستدعي التأمل فيما يُسمى أسطورة تكوّن **الثقافة الإسرائيلية**، وهنا تجدر الإشارة إلى كتاب **شلحت (١٩٩١)**، بعنوان (أسطورة التكوين –

الثقافة الإسرائيلية الملفقة) والذي يخلص فيه إلى إستنتاجات واقعية حول إنعدام المقومات الصلبة والأسس الطبيعية المتعارف عليها في ثقافات الشعوب. فالثقافة الإسرائيلية تُعد خليطًا هشًا وأساطير مفتعلة تعوزها الأصالة والرفعة والرسوخ، وقد أدت إلى إيجاد وعياً إسرائيليًا مأزومًا يحاول إستطلاع ثقافة الآخر العربي. وتُعد دراسة **انطوان شلحت** محاولة موضوعية لتوسيع دائرة الضوء حول العنصرية في الثقافة الاسرائيلية التي تأسست على منابت الفكر الصهيوني القديم، فالكتاب يسلط الأضواء على أكاذيب الأدب الصهيوني، الذي سعى على مدار سنوات أن يثبت بالباطل أن العرب لم يتواجدوا في فلسطين قبل أن يدخلها اليهود، ولم ينشئوا فيها حكمًا محليًا، لم يبنوا ثقافة أو لغة أو قومية مميزة. كما سعى الأدب الصهيوني بترسيخ صورة عن العرب جميعًا بأنهم وحوش من الصحراء. هذا بالإضافة إلى الإعلام والصحافة الاسرائيلية المتحدث باسم المؤسسة الصهيونية. وهذا ما دفع الكاتب إلى التأكيد بأن المجتمع الاسرائيلي إنما يُعد كياناً غير طبيعي، لا يعتمد على أسس متينة، سواء من الناحية الاجتماعية أو الحضارية أو حتى الاقتصادية، إنه مجتمع موبوء بالكراهية للعرب، مجتمع ارثوذكسي يتسع نمط الجيتو والتقوقع اليهودي فيه، ويكفر بكل ما يحيد عن أسفار التوراة.

وجملة القول في هذا الشأن، أن السياسة الإسرائيلية قد وضعت استراتيجية للتنشئة الاجتماعية للإسرائيليين معتمدة على مسلمات الأيديولوجية الصهيونية العنصرية، ونجحت في السيطرة على الشخصية وشكلتها كيفما أرادت. ولتحقيق ذلك "يتبع القادة الصهاينة جملة من الإجراءات لتثبيت العنصرية كمكون رئيس في الشخصية اليهودية الإسرائيلية، والتي من أهمها التأكيد على تفرد الشعب اليهودي، التركيز على اضطهاد اليهود في المجتمعات الغربية، والتركيز على الاعتداءات المزعومة التي وقعت عليهم في البلاد الإسلامية، إثارة الخوف الدائم في احتمال تكرار المذابح اليهودية، هذا بالإضافة إلى تأكيد معاداة السامية في العالم. وبالفعل نجحت السياسة الصهيونية في ترسيخ هذه الأفكار في عقول اليهود مما أدي إلى أن تصبح الشخصية الإسرائيلية ذات طابع تسلطي واضح". **(يسين، ٢٠٠٠)**

وقد تبين للباحث من خلال دراسة تحليلية لعينة من الكتب المدرسية الإسرائيلية أن آليات تشكيل عقول الطلبة الإسرائيلين تسعى إلى قولبة تلك العقول على نمط تفكير محدد تجاه العرب من خلال إمدادهم بالمعلومات المزيفة بما يؤدي في النهاية إلى ايجاد أجيال متشابهة التفكير، ويظل نهج التربية الإسرائيلية على هذه الشاكلة لأسر تلك العقول وتعبئتها بما تشاء من قيم وأفكار واتجاهات دون أن يعي الناشئة ذلك وعيًا حرًا. وعلى ذلك يمكنني القول بأن التربية اليهودية الإسرائيلية لا تسع مطلقا إلى تكوين فكر اجتماعي نقدي واعٍ يملك القدرة الذاتية على التمييز بين الحق والباطل، فتكوين الفكر النقدي يسعى إلى تمكين الطلبة من مهارات الحوار البناء وقبول الآخر من أجل التواصل والتفاعل الإنساني المطلوب، فقبول الآخر والحوار معه يأخذ موقعا مميزًا ضمن مجموع القيم الإنسانية والحضارية المعاصرة لأنه يُسهم في بناء مواطنة متفتحة على الذات والآخر. إلا أن المتتبع والمتمعن في دراسة المجتمع الإسرائيلي بمؤسساته التربوية يلحظ غياب هذه القيم، وبغيابها أصبح المجتمع الإسرائيلي يعزل نفسه ويتقوقع داخل ثقافته الخاصة، أي أنه قد حبس نفسه في جيتو جديد.

وهكذا يتم تشكيل العقل الصهيوني منذ الصغر. فالسمات السابقة التي تتميز بها الشخصية اليهودية والتي تُسهم في صناعة العقول الإسرائيلية المقولبة، تؤكد ضرورة إعادة تشكيل العقل الإسرائيلي والتزامه بالقيم الخلقية والسلوكية التي دعت اليها اليهودية الموسوية الحقيقية. وهنا يتجلى دور آخر للتربية العربية والباحثين العرب يتمثل في ضرورة دراسة التراث التوراتي ودراسة الأسفار والكتب الخاصة برجال الدين والقديسين الذين عاشوا في الماضي، وبيان ما بها من تحريف ومحاولة تنقيح أفكارهم السوداوية المُدمرة، وأيضًا دراسة العادات والتقاليد والسلوكيات الصهيونية النابعة من فكر غريب.

ويتجلى تأثير البنية التربوية للسخصية الإسرائيلية في الغياب التام لقيمة التسامح وقبول الآخر، فهذه القيم ليس لها وجود في السياسة الإسرائيلية تجاه العرب داخل أو خارج الدولة. فدائمًا ما تمارس إسرائيل كل أشكال التعصب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي ضد العرب مبررة ذلك بالدفاع عن نفسها ضد الإرهاب العربي. كما تتبع إسرائيل سياسة العزل والفصل وعدم السماح بالاندماج مع العرب، كما أن قيمة التسامح

غائبة في المجتمع الإسرائيلي ؛حيث الصراعات القائمة بين الطوائف والفئات المختلفة منه، وكما ذكر **حسن (٢٠٠٣، ٣١)**:"إن قيمة التسامح الديني تغيب عن المجتمع الإسرائيلي، فهو مجتمع يضطهد أهل الأديان فيه من المسلمين والمسيحيين، الذين تُهدَم في كل يوم مساجدهم وكنائسهم، ويُمنَعون من الصلاة فيها. ويُعامَل المسلمون والمسيحيون معاملة من الدرجة الثانية على كل المستويات، فقيمة التعايش قيمة غائبة ولا يمكن تحقيقها في مجتمع عنصري تقوم سياسته على مبدأ الفصل العنصري بين المواطنين، ذلك الفصل العنصري الذي يتم بشكل متكامل؛ حيث لا يوجد اختلاط في مناطق السكن ولا العمل ولا الدراسة". حتى أن الكتب المدرسية لا تدعم فكرة السلام أو مبادئ التوجه للسلام الحقيقي الشامل والعادل؛ لكونها لا تعترف بوجود ثقافات مختلفة، وحقوق متساوية للأقليات – بشكل تطبيقي ، فالولاء للدولة اليهودية دائمًا، وفي سبيل ذلك يتم تجاهل قيم السلام وقبول الآخر. كما أنها أسهمت في تصعيد الصراع العربي الإسرائيلي من خلال ترسيخ صورة سلبية عن العربي. وقد عمدت آليات صهيونية عديدة على تكريس الصراع العربي الإسرائيلي، لعل أهمها المناهج الدراسية في أنظمة ومؤسسات التعليم الإسرائيلي والتي تعتمد على أسس معرفية وفكرية وتأصيلية سائدة في التراث والفكر اليهودي، يتم الأخذ عنها في ما يمكن أن يُطلق عليه الحملات التربوية ضد العرب والمسلمين. فتلك هي المنهجية المتبعة في تشويه الآخر العربي، وتلك المنهجية إنما هي أداة تعمل على استمرار الصراع وديمومته، بما يؤكد أن الهيمنة الصهيونية لا تكتمل بالهيمنة السياسية والاقتصادية فقط، ولكن يلزمها أيضًا الهيمنة الفكرية والثقافية التي تُسهم بعمق في تشكيل الصورة والسياسات تجاه العرب.

مـــــراجع البـــــحث

الكتاب المقدس (١٩٩٥): **العهد القديم**، ط٥، بيروت، دار الكتاب المقدس.

الهول، جبر (٢٠٠٤): **المواثيق والعهود في ممارسات اليهود- قراءة في الفكر الديني والسياسي اليهودي المعاصر**، ط١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

حسن، محمد خليفة (١٩٩٨): الشخصية الإسرائيلية "دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام"، **سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية**، ع٢، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية.

حسن، محمد خليفة (٢٠٠٣): دراسة تحليل محتوى لكتاب "يهود وعرب في دولة إسرائيل"، **ندوة بناء المناهج: الأسس والمنطلقات**، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

الخشاب، مصطفى (١٩٨٧): **دراسة المجتمع**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

الساعاتي، سامية حسن (٢٠٠٩): **الثقافة والشخصية- حوار لا ينتهي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سعدات، محمود فتوح. (٢٠١٣). **الشخصية اليهودية الإسرائيلية وأثرها في صياغة الحرب النفسية اليهودية الإسرائيلية**. متاح على: www.alukah.net/library/9064/pge/132 on 25/12/2017

الشامي، رشاد عبد الله(١٩٨٦): الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، **سلسلة عالم المعرفة**، ع١٠٢، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الشرنوبي، محمد عبدالرحمن & حامد، السيد أحمد& عبدالحافظ، منى فؤاد (٢٠١٣): **معجم مصطلحات الأنثربولوجيا**، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

ظاظا، حسن (١٩٩٠): **الشخصية الإسرائيلية**، ط٢، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الفتاح، جمال عباس (٢٠١٨): **الأبعاد التربوية لتكوين الشخصية المصرية في فكر حامد عمار– دراسة نقدية**، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، كلية التربية.

عبد المحمود، هنادي عيسى (٢٠٠٨): **الإرهاب والعنف في الفكر اليهودي**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان.

عبد الوهاب، منصور(٢٠١٢): **منظومة التعليم العام في إسرائيل الواقع والمستقبل**، في: إبراهيم البحراوي وآخرون. استراتيجية إسرائيل ٢٠٢٨– دراسة تحليلية، القاهرة، جامعة الزقازيق، مركز الدراسات الإسرائيلية.

عطوان، محمد (2015): الأيديولوجيا والوعي الزائف: دراسة في بيان أوجه التداخل ما بين الأيديولوجي والمعرفي، ***مجلة* آداب البصرة**، ع (٧٤)، جامعة البصرة، العراق، ص ص ١٩٥–٢١٤.

علام، عمرو عبد العلي (٢٠٠٧): **المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع**، القاهرة، دار العلوم للنشر والتوزيع.

عمارة، محمد (٢٠٠٤): **الغرب والإسلام– أين الخطأ؟.. وأين الصواب؟**، ط١، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

عودة، عودة عبد (٢٠٠٦): التلمود وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، **مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية**، ع٣٢، الإمارات، دبي.

غامري، محمد حسن (١٩٨٩): **المدخل الثقافي في دراسة الشخصية**، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.

فارس، عبد القادر (٢٠٠١): العنصرية الصهيونية وفلسفة التربية اليهودية، **مجلة رؤية**، ع٩، متاح على: www.info.wafa.ps/atemplate.aspxial. on 14/10/2017.

لوران، روهلنج شارل (١٩٦٨): **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة يوسف حنا نصر الله، تقديم: مصطفى الزرقا، ط١، سوريا، مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية الاستراتيجية.

مجمع اللغة العربية (٢٠٠٤): **المعجم الوسيط**، ط٤، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم (١٩٩٦): **النصارى والمسلمون في تلمود اليهود**، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة.

الهنيدي، سحر(مترجم) (١٩٩٩): في واتيلام، كيث: اختلاف إسرائيل القديمة- إسكات التاريخ الفلسطيني، مراجعة فؤاد زكريا، **سلسلة عالم المعرفة**، ع٢٤٩، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

واتيلام، كيث (١٩٩٩): اختلاف إسرائيل القديمة- إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا، **سلسلة عالم المعرفة**، ع٢٤٩، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

يسين، السيد (١٩٩٣): **الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر**، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي.

يسين، السيد (٢٠٠٠): **تشريح العقل الإسرائيلي**، ط١، القاهرة، ميريت للنشر والمعلومات.